

# محرم الحرام وعاشوراء والخرافات في شبه القارة الهندية

عطاء الرحمن الندوي

إن الله تبارك وتعالى كتب على الكون من أول يومه التغيير والتبديل والأحوال المتغيرة في نظامه ، ومن هنا يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ، ويغير الصباح بالمساء والمساء بالصباح بأمر خالق الكون ، وبهذا التغيير يكون الأسبوع ، ويحل الأسبوع محل الشهر ، والشهر محل العام ، والعام محل العصر ، والعصر محل القرون كذلك ، وكذلك فوض الله على الشهر أن يكون اثنا عشر شهراً ، ومن هذه الشهور أربعة أشهر هامة في حياة المسلمين كما كانت في الجاهلية ، وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية هذه الشهور الأربعة في سورة التوبة ، حيث قال ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ وكذلك فإنا نرى كرامة هذه الشهور في كتب التاريخ الإسلامي ونجد في الأحاديث النبوية الشريفة أسماء هذه الشهور وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم الحرام ورجب المعظم ، ومن هذه الشهور فإن شهر الله المحرم شهر مكرم ومعظم لدى المسلمين قاطبة من مشارق الأرض ومغاربها ، وكانت له منزلة مرموقة لدى الناس في الأيام الجاهلية كذلك ، وإن التاريخ يشهد لنا بأن العرب الذين كانوا بعيدين كل البعد عن التعليم والأفكار الصحيحة وعن العلم والمعرفة والحضارة والثقافة وكما كانوا بعيدين عن الدلائل والبراهين كل البعد ومشغولين بالحروب الدامية ويلجؤون إلى ميدان الحرب الساخنة بأمر تافهة بين الشعوب والأمم ،

وشاع فيهم الفسق والفجور والنهب والسرقا وعمليات الإختطاف وإغتصاب المرأة في رابعة النهار حيناً وفي ظلمات الليل حيناً آخر ويشنون الغارة على المسافرين بين الفينة والأخرى ، وعلى الرغم من ذلك كله فإنهم ينفضون أيديهم في هذه الشهور كأنهم ما كانوا فيها من قبل وما كانوا يعرفون شيئاً عن هذه الأعمال الشنيعة ، ولذلك يقال هذا الشهر " محرم الحرام " في الجاهلية ، وكانت الحرب والقتال عليهم حراماً وممنوعاً في هذا الشهر ، وفيه يوم مبارك ، وهو اليوم العاشر من هذا الشهر سعيد وكريم لديهم ، كما أن له أهمية كبرى في الشريعة الإسلامية ، إن الله تبارك وتعالى قبل توبة سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام في هذا اليوم السعيد المبارك ، وسفينة نوح لجأت إلى الجبل الجودي في هذا اليوم ، وأخرج سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام قومه من عبادة فرعون وإستبداده إلى حياة الأحرار والأشراف في مصر ، ومن ظلمات الشرك إلى نور الإيمان ، وليس هذا اليوم محدوداً على هذه العظمة والكرامة فحسب بل إن له منزلة لا يساويها منزلة أخرى نجدها في الحديث النبوي الشريف الذي رواه مسلم ( عن أبي هريرة ؓ ، قال : قال رسول الله ﷺ ، أفضل الصيام بعد رمضان : شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة : صلاة الليل ) ، و ( عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ ، صام يوم عاشوراء ، وأمر بصيامه ) ، وعن أبي قتادة ؓ ، أن رسول الله ﷺ ، سئل عن صيام يوم عاشوراء ، فقال : " يكفر السنة الماضية " رواه مسلم ، وكذلك أننا نرى في حديث آخر رواه مسلم بأن النبي ﷺ أراد أن يصوم اليوم التاسع من هذا الشهر ( عن ابن عباس ؓ قال : قال

رسول الله ﷺ ، " لنن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع ) ولا نحتاج إلى تثبيت كرامة هذا اليوم أكثر من هذه الأحاديث المذكورة النبوية .

ولأجل ذلك فإن اليوم العاشر من هذا الشهر الكريم يوم مبارك في حياة المسلم ، وهو يعكف على عبادة الله وحده ، ويغتتم هذا اليوم السعيد لنيل مرضاة الله ، وهو يصلي صلاة الليل إيماناً وإحتساباً لنيل الرحمة والمغفرة من الذنوب والمعاصي ويطرق أبواب المغفرة والزحمة خاشعاً ومتضرعاً رافعاً عينيه و يديه إلى السماء ويعول في ظلمات الليل أمام الله ﷻ كالمساكين والغرباء والأجانب يبتهلون حول الأغنياء والأثرياء خاشعين ومتضرعين إلى عطائهم الواسع وإلى خيراتهم الجارية ، وإن المسلم يجري مساحيق الدموع أمام الرب لغسل الذنوب والقلوب التي غارقة في بحر الذنوب المتلاطم ، حتى ينال رضى الله ويقتح القفل المغلق بهذا المفتاح الذي اغتمته في ليلة هذا اليوم السعيد وينال الرزق الواسع في الحياة الدنوية والمغفرة في الحياة الآخروية ، ويخرج من بحر الذنوب طاهراً ونزيهاً كأنه ولدته أمه اليوم ، وعلى الرغم من ذلك كله فإننا نجد حياة المسلمين على النقيض من تلك الحياة الطاهرة في بلادهم ، سامحوني أيها القراء وهنا أقول لكم مع الأسف الشديد بأن المسلمين في شبه القارة الهندية لا يغتتمون هذا اليوم المبارك لنيل الرحمة والمغفرة ، بل فإنهم يكونون مكبين على الخرافات والأباطيل باسم الإسلام في هذا اليوم فضلاً أن يعكفوا على الأعمال الصالحة لتغيير حياتهم الغارقة في الآثام إلى الأذقان ، وهذا من سوء حظ المسلمين في شبه القارة الهندية خاصة وفي دول المسلمين الأخرى عامة ، ولذلك فإننا نرى بأنهم يحدثون البدعة

والخرافات حتى يصلوا بها إلى ارتكاب الأعمال الشركية بإسم حب سيدنا وإمامنا الحسن و الحسين رضي الله عنهما ، وإظهار الحزن والألم على مأساة كربلاء التاريخية ، ويرفعون هتافتهم " يا حسن يا حسين يا حسن يا حسين " ويضربون على وجوههم وصدورهم بالسكاكين لإظهار الحب والحزن على مأساة كربلاء ولو أنهم لا يشاركون في صلوات الخمس ولا يحضرون الجمعة والعيدين ولا يصومون في رمضان ومع ذلك كله فإنهم يرون من اللازم أن يشاركوا في " التعزية والنياحة " ، ولا يشعرون بأنهم يحرضون نار غضب الله على أنفسهم بإحداث هذه الخرافات والأباطيل بإسم العبادات الإسلامية تاركين قول **اللَّهُ** تبارك وتعالى وراء ظهورهم ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ ولا يرن في آذانهم هذا الوعيد ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ ، وأين فضيلة هذا الشهر ؟ وأين منزلة هذا اليوم ؟ وأين صوم هذا اليوم ؟ وأين أهمية هذا الشهر في مجتمع المسلمين ؟ وأين نحن المسلمين اليوم من كرامة هذا اليوم ؟ وأين نحن المسلمين اليوم من عظمة هذا اليوم ؟ وأين نحن المسلمين اليوم من الرحمة والمغفرة في هذا اليوم ؟ وأين نحن المسلمين اليوم من كفارة السنة المنصرمة في عبادة هذا اليوم الكريم ؟ بل فإننا مكبون على عبادات موضوعية في المجتمع الإسلامي بكل إهتمام بالغ لا تنسجم مع رسالة هذا الشهر الكريم وهذا اليوم السعيد و الروح الإسلامية السمحة والشريعة الربانية الغراء ، وأسفا على الدروس والعبر للمسلمين من هذا الشهر وهذا اليوم ، ويبدلون الأموال الهائلة بإجراء هذه الأعراف والتقاليد المزعومة في مجتمع المسلمين ، ويتعود الأبناء والأجيال الناشئة على هذه الخرافات والتقاليد غير الإسلامية والشريعة ، حيث أنهم يخرجون مسيرة بإسم " التعزية " ، ويطوفون الشوارع والطرق حاملين هذه التعزية على كواهلهم حبا وكرامة ويرشون عليها

المياه العذبة والعطريات القيمة والأموال النقدية والحمامات واليمامات والدجاجات والحلاوى لنيل الثواب والأجر عند **اللَّهُ** يوم القيامة ، ويجتمعون متكاتفين بين الشبان والشابات في المدن والأسواق بإسم " معرض شهر المحرم " تاركين الحجاب الإسلامي والقوانين الإسلامية عن المرأة والرجال ، ويتغزلون بالشابات والمرهقات ويقومون بتوطيد العلاقات الغرامية بين البنات تحت العشرين ويبدرون بذور المحبة غير شرعية في نفوسهن ، وبهذا المعرض فإن المسلمين يمهدون السبيل لإنتشار الفواحش والمنكرات بين أبناء الإسلام في مجتمعهم ، ويبيعون الأخلاق الحسنة والسيرة الطيبة بين الشباب والشابات بتحقيق التمنيات الجنسية وتحقيق الطموح والشهوات بدون أي إستحياء وإستنكار ، ويا للأسف الشديد على شعورنا ! ويا للحزن العميق على أنفسنا !! وهل أننا وارثو الأنبياء والرسل ؟ - أفضل الصلوات والتسليم - وهل أننا نعد من أمة محمد ﷺ مع أننا نسلك طرائق قدا ؟ وهذا الذي تقدمه إلى غير المسلمين للدخول في دين الإسلام ؟ وبهذه السيرة والسلوك ندعو الناس إلى ظل الإسلام ؟ وبهذه الرسالة الموضوعية والدعوة المزعومة نرفع راية الإسلام العظيم في هذا القرن الراهن ؟ وهذا الذي يطالبه الآخرون من الأمة المحمدية ؟ .

وهذه البدعة والخرافات تصل من العاصمة إلى القرى والبادي حيث تنشرها وسائل الإعلام الحكومية والجرائد اليومية بأهمية كبيرة كأنها جزء من العبادة والعقيدة الإسلامية ، ولأجل ذلك فإنها تحرض الشعب البنغالي المسلم على المشاركة في إحتفال هذه التعزية والخرافات في البلاد ، ولكننا إذا ألقينا نظرة على تاريخ هذه البدعة فوجدنا أنها ما كانت في عهد الصحابة والتابعين فضلا عن عهد الرسول ﷺ ، وما قال أحد من الأنمة الأربعة أنها جائزة وأمر ضروري في الإسلام ، حيث أستشهد الإمام الحسن و الحسين - رضي الله عنهما - في ٦١ هـ وولد

الإمام الأعظم أبو حنيفة - رحمه الله في ٨٠ هـ بعد ١٩ عاما لحادثة كربلاء ، وانتقل إلى جوار رحمة ربه في ١٥٠ هـ ولكنه ما أيد هذه " التعزية " وما أمر بإحتفال هذه البرامج بإسم الإسلام في هذه الفترة الطويلة ، وإن المؤرخين يعرفون حق المعرفة أن هذه البدعة إتخذت طريقها في ٣٤١ هـ في العراق ، وإن الحكومة العراقية آنذاك أمرت الناس بالتعزية والنياحة على حادثة كربلاء وعلى شهداءها تاركين الأعمال والأشغال ، وأمرت الحكومة بإغلاق المدارس والمعاهد التعليمية والدوائر الرسمية في اليوم العاشر من شهر **اللَّهُ** المحرم لإحتفال ذكرى كربلاء وإخراج التعزية في البلاد ، ومع ذلك كله فإن المسلمين في شبه القارة الهندية كانوا بعيدين كل البعد منها ، ولكنها تروجت فيهم في شبه القارة الهندية في عهد تيمور لنغ ( ٨٠٠ هـ ) كما يشهد لنا التاريخ ، وبعد ذلك جرت العادة بإحتفال هذه البدعة والخرافات في شبه القارة الهندية في حين غفلة العلماء وأبناء الإسلام شيئا فشيئا حتى وصلت إلى ما وصلت وحلت ما حلت من مكان العبادة والعقيدة والإيمان بين المسلمين ، فتناسوا قول الرسول ﷺ حيث أعلن قبل ١٤١٩ عاما بكل وضوح وصراحة " من أحدث في أمرنا هذا وما ليس منه فهو رد " وفي موضع آخر قال رسولنا الكريم ﷺ " وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة " .

وهنا نقف ساعة للدروس والعبر من رسالة محمد ﷺ ، ونسأل القراء الكرام هل هناك سعة لإحتفال هذه البرامج بإسم الإسلام وأن نعبد غير **اللَّهُ** ونتخذ طريقا غير طريق الرسول ﷺ للنجاة والخلص في الدنيا والآخرة غامضين العيون عن هذه الرسالة الإسلامية ؟ وإن أعمالنا في هذا اليوم وعقيدتنا عن التعزية وهذه البرامج بإسم الإسلام أ ليس من البدعة ؟ بل هي من أعمال الشرك والضلال ، ومما لا شك فيه فإنها تذهب بالمسلمين إلى النار ، وإن القرآن الكريم يقول لنا ﴿ أ تعبدون ما تحتون ﴾ وفي موضع آخر

يقول **اللَّهُ ﷻ** بالوعيد ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولو لا كلمة الفصل لقضى بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ ولذلك يجب علينا أن نجتنب كل الإجتنا من هذه الخرافات والأباطيل ويحتفال هذه البرامج باسم الإسلام في المجتمع ، وإذا لم نعد من حالتنا هذه فسوف تنطبق علينا هذه الآية القرآنية ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾ ويحل محلنا قوم آخرون ، كما أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في بيان بني إسرائيل ﴿ وإن لم تؤمنوا لي فاعزّلون \* فدعا ربه أن هولاء قوم مجرمون \* فأسر بعبيدي ليلآ إنكم متبعون \* واترك البحر رهوا إنهم جند مغرّفون \* كم تركوا من جنات وعيون \* وزروع ومقام كريم \* ونعمة كانوا فيها فاكهين \* كذلك أو رثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين \* ﴾ ويقول القرآن الكريم في موضع آخر ﴿ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين ﴾ .

ولآجل ذلك فباتنا نرى بأن الذين كانوا أعداء الإسلام بالأمس أصبحوا أصدقاء له غداً ، ويعترفون دور الإسلام في بناء العالم والكون بدون أي تذبذب ، ويتجلى الإسلام في بياناتهم وكتاباتهم كالشمس ، إذا غربت في دولة وفي شعب طلعت في دولة وشعب آخر ، وإن المفكرين العلمانيين والشعوعيين والخبراء بالأديان والمذاهب يعترفون دور الإسلام وتنفيذ قوانينها في المجتمع في إقامة الأمن والسلام في العصر الراهن ، وتتجلى أهمية الإسلام في بياناتهم وكتاباتهم حيناً بعد حين ويقولون : إن الإسلام وحده يستطيع أن ينقذ العالم الحائر من الهلاك والدمار ، ولا يقوم الأمن والسلام في العالم أجمع إلا بتنفيذ الشريعة الربانية التي جاء بها محمد ﷺ ، ويجدر بالذكر في هذا الصدد بأن إحتفال (FESTIVAL OF ISLAM) إنعقد في بريطانيا في عام

١٩٧٦م ، وفي هذه المناسبة قامت مجلة (TIMES) العالمية بإصدار ملحق خاص ، وكتب فيها كاتب (WILFRED BLUNT) مقالة هامة بعنوان (MOST AMAZING EVENT) وكتب فيها الكاتب إن التاريخ القديم والجديد لا يعرف أمراً أعجب وأدهش من نشر الإسلام في العالم ، وما فكر أحد في العالم بأن الإسلام يصل من مشارق الأرض ومغاربها كالبرق مع أن صاحبها - أفضل الصلوات والتسليم - لجأ إلى المدينة لما أجبره الأعداء على ترك وطنه الذي ولد فيه وترعرع في جوه - مكة - وعلى الهجرة من مكة إلى المدينة حتى رسخت دعوته في قلب فرنسا وغيرها من الدول غير الإسلامية في هذا العصر الذي يقال عنه أنه عصر التقدم والحضارة وعصر الحرية من الحدود والقيود مع أن صاحبها قد مات وانتقل هؤلاء الرجال الذين كانوا حوله إلى رحمة ربهم ، ورفعوا هذه المسؤولية على عواتقهم منذ وصلت هذه الدعوة إلى آذانهم إلى آخر لمحة حياتهم ، وهذه الحقيقة لا ينكرها الأعداء مع أن الإسلاميين يتجاهلوننا بأعمالهم وأفكارهم ولا يصبرون على الصحو الإسلامية في دولهم كما أننا نرى في هذه السنوات الأخيرة ، هيهات هيهات لما يفكرون ويؤامرون للقضاء على الإسلام متجاهلين قول **اللَّهُ ﷻ** يريدون أن يطفؤوا نور الله بأقواهم والله متم نوره ولو كره الكافرون .

#### البقية المنشورة على ص - ١١

لدى الشعوب والأمم محاييداً ؟ لأنه لا يلعب أي دور إلا بإشارة أمريكا ، وهل يستطيع أن يكون مؤثراً على الصعيد الدولي أم يكون دوره محدوداً في الدول الأوروبية الغربية ؟ خاصة في حين أنه واجه صعوبات شديدة في بلقان قبل ثلاث سنوات ، ولو أنه فاز في تحقيق أهدافه بحل قضية البوسنة والهرسك واستطاع بإقامة الأمن والسلام إلى حد بعد إتفاقيه " ديتن " ولكنه أخذ من أهل " البوسنة والهرسك " الأسعار الهائلة لهذا

النجاح والفوز ، وهناك تجهر وتوضح علامة الإستفهام من ذي قبل يوماً فيوما عن مكانته بشأن هذه القضية الكوسوفية حيث أنه هدد ووعد بالصرب والغارات على الصربيين ولكنه ما استطاع أن يقوم بالغارات الجوية على الصرب ولو مرة حسب متطلبات الظروف والأوضاع ، وأخيراً ذهبت هذه التهديدات عديم الفعالية وعدم الإنسجام مع الحقيقة وسراباً لا يساويه صفرأ .

ومن الأسف الشديد فإن العالم الإسلامي ما زال ساكتاً على هذه المذابح وعلى دماء المسلمين الأبرار ، حيث أصبحت دماء المسلمين أنهاراً تجري ، والباقون يعيشون وسط بحر لحي من الأعداء الوحشيين والبربريين في كوسوفا ، ولا يخرج مسلمو العالم الإسلامي والعالم العربي إلى الإحتجاج والإستنكار الذي يهز عرش الأمم المتحدة والناتو والقوى العالمية من تحتها ويجعلها مضطرة إلى إتخاذ الإجراءات اللازمة لمساندة حقوق الإنسان في كوسوفا ، فأين منظمات حقوق الإنسان العربية ؟ وأين النقابات والجمعيات الأهلية ؟ وأين المفكرون الإسلاميون ؟ وأين المثقفون العربيون ؟ وأين وسائل الإعلام الإسلامي ؟ وأين الزعماء السياسيون الإسلاميون ؟ وأين المسلمون الغيورون ؟ وفي أي عالم يعيشون ؟ ولأي يوم يدخرون قواتهم الكتابية والصحفية ؟ ولأي شيء لا يخرجون من الصمت ؟ ونريد أن نكون مطلعين على موقف العالم العربي بشأن المسلمين المظلومين المضطهدين في كوسوفا ونطلب من العالم العربي والعالم الإسلامي ومن المسلمين قاطبة الذين يعيشون من أقصى الأرض إلى أقصاها ومن شرقها إلى غربها أن يرفعوا هتافاتهم الإيمانية بصوت واحد : وا إسلاماه .

نعم المحدث والرفيق كتاب

تلهو به إن خانك الأصحاب

لا مقشياً للسر إن أودعته

ويُنال منه حكمة وصواب

\*\*\*\*\*

أعز مكان في الوري سرج سابح

وخير جليس في الزمان كتاب